المحيط الأسري وأثره على انحراف الأحداث

أ. إلهام محمد سعيد العانب
قسم علم الاجتماع- كلية الآداب / جامعة 7 أكتوبر

المقدمة:

يبدأ الفرد حياته من الأسرة ويتأثر بكل ما يمر بها من أحداث وبما تحيطه من مشاعر وما يتلقاه من معاملة تترسب في شخصيته ، وينطلق من خلالها إلى حياة البالغين وإلى مواجهة المجتمع الكبير ، فهي من ناحية مصدر إشباع معظم حاجاته الأساسية ، ومن ناحية أخرى مظهراً للاتصال بالعالم المحيط به ، وفي إطارها ينمو بما تهيئه له من استقرار عاطفي واجتماعي وإنفاق مادي ، وتتشكل خلال سنواته الأولى ملامح شخصيته وعلاقاته مع الآخرين ، وتلقنه اللغة والعقائد الدينية والقيم الأخلاقية ويتشرب من خلالها الاتجاهات والقيم والمعاني والمفاهيم التي تحكم سلوكه وتوجهه ، كما تعده للمشاركة في حياة المجتمع من خلال توريث خبراتها ومهاراتها وتجاربها . وهو إما أن يخرج من أحضانها فرداً سوياً أو غير سوي يتعارض سلوكه مع القيم السائدة في المجتمع ، فالأسرة لها دورٌ تربويٌ هامٌ ينعكس على الطفل سلباً أو إيجابا ، فحين تتوافر له ظروف أسرية سليمة تضمن له تنشئة تربوية طيبة وتعده ليكون مواطناً صالحاً - هذا إذا لم تعرقله عوامل أخرى تؤثر على سلوكه - أما نشأته في ظل ظروف أسرية سيئة فمن شأنها أن تدفعه للانحراف .

وظاهرة انحراف الأحداث ظاهرة عامة في أغلب مجتمعات العالم إلا أنها تختلف في مدى حجمها وخطورتها وشكلها من مجتمع لآخر لارتباطها بخصائص المجتمع وثقافته السائدة ، فهي من أبرز المشكلات الاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات المتقدمة والنامية على حد السواء بما تتركه من آثار خطيرة على المجتمع في مجالات الجريمة والفساد والانحلال الخلقي ، وبما تخلقه من تأثيرات نفسية واجتماعية على شخصية الأحداث المنحرفين الذين يعيشون عالة على ذويهم وعلى المجتمع باعتبارهم قوى عاملة

معطلة عن العمل والإنتاج ، وإن إصلاحهم وتقويمهم أسهل بكثير من بعد أن يكبروا وتتقوى في أنفسهم الرذيلة والجريمة فيصعب بذلك ردهم إلى الطريق السوي ، وعلى ما يبدو أن معظم المجرمين البالغين بدءوا حياتهم الجنائية منذ الحداثة ، ومن أجل ذلك أخذت المجتمعات على عاتقها التصدي للانحرافات ومعرفة أسبابها والوقاية منها وتنظر للحدث نظرة خاصة ومساعدته بما يعود بالنفع عليه وعلى مجتمعه .

مفهوم انحراف الأحداث :-

إن الخلاف بين الباحثين حول تحديد سن الحدث الجانح ما زال مستمراً ، فلا يوجد اتفاق بين الدول في تشريعاتها على الحد الأدنى والأقصى لهذه السن فهو يتحدد حسب التشريع السائد فيها ، ولكنهم اتفقوا غالباً على أن سن الحدث تقع بين السابعة والثامنة عشر باعتبارها الفترة التي تتشكل فيها طبيعة شخصيته وصفاته وتحدد سلوكه ونشاطه وتؤثر في قيمه واتجاهاته ومعاييره .

وفي التشريع الليبي فالمادة (81) من قانون العقوبات الليبي تتحدث عن المسؤولية الجنائية بالنسبة لسن الحدث حيث تقع ما بين الرابعة عشر والثامنة عشر سنة ، بشرط أن يكون للصغير قوة الشعور والإرادة ، فكأن الأصل هو عدم تمتعه بهذه القوة أي بعدم المسؤولية ، ولكن التدابير الاحترازية بمعرفة الدولة بعد أن فشلت أسرته في تربيته تصبح وجوبيه (الرازقي ، 2002 : 289) .

كما تعددت المصطلحات التي استخدمت في تحديد مصطلح انحراف الأحداث، حيث يتحدث البعض عن إجرام الأحداث، ويفضل البعض الآخر مصطلح إجرام الصغار، كما اختلف الباحثون في تعريفهم لهذا المفهوم إذ تناولوه من الناحية الاجتماعية والنفسية والقانونية ، ثم اتخذ كلٌ منهم اتجاهاً خاصاً عن الآخر.

تعريف الحدث لغةً وفقهاً :

جاء في لسان العرب أن مصطلح الأحداث (مفردها حدث) يقول الجوهري : شاب حدث فتى السن، ويقول ابن سيده : ورجل حدث السن وحديثها بين الحداثة والحدوثة ورجال أحداث السن وحدثانها وحدثاؤها ، ويقال : هؤلاء قوم حدثان جمع حدث وهو الفتى السن ، ويقول الجوهري : ورجل حدث أي شاب فإن ذكرت السن

قلت : حديث السن وهؤلاء غلمان حدثان أي أحداث (لسان العرب ، 1988 : 164) وفي المعجم الكبير يعرف الحدث بأنه صغير السن (المعجم الكبير : 133) فالأحداث هم الأطفال الذين ما زالوا في مقتبل العمر .

وفي الفقه الإسلامي فالمعنى نفسه للحدث، حيث يطلق فقهاء الشريعة الإسلامية تعبير الصبي على من لم يبلغ وقد درجوا على تسمية الأحداث بالصبيان أو الصغار، والغاية من التمييز بين الأحداث وغيرهم أنه لا تكليف على الصبي حتى يبلغ فالأحكام الشرعية معلقة بالبلوغ الذي يتحقق بالإنزال أو باستكمال خمس عشرة سنة في الغالب الأعم (أبو توتة ، 1998 : 20) .

تعريف الانحراف في اللغة :

هو الميل والعدول عن الشيء ومجانبته وانحرف وتحرف معناه مال عن الاعتدال وانصرف عنه (القاموس المحيط : 178) والمنحرف في معناه اللغوي كما ورد في المعجم الكبير : المائل عن الاستقامة (المعجم الكبير : 257) .

التعريف القانوني للحدث المنحرف :

يعرف بول Poul Tappan الانحراف : بأنه أي فعل أو سلوك أو موقف يمكن أن يعرض على المحكمة ويصدر فيه حكم قضائي ، وأن الحدث المنحرف هو شخص قد صدر ضده حكم من إحدى المحاكم تطبيقاً لتشريع معين .(أبو توتة ، 1998: 23) .

كما يعرفه فقهاء القانون بأنه " الشخص الذي يعتدي على حرمة القانون ويرتكب فعلاً نهى عنه في حدود سن معينة ، ولو أتاه البالغ لوقع تحت طائلة العقاب سواء كان هذا الفعل مخالفة أو جنحة أو جناية " . (رمضان ، 1985 : 32) .

التعريف الاجتماعي للحدث المنحرف :

يعرف الانحراف بأنه "موقف اجتماعي يخضع فيه صغير السن إلى عامل أو أكثر من العوامل ذات القوة السببية المؤثرة مما يؤدي به إلى السلوك غير المتوافق أو يحتمل أن يؤدي إليه " (رمضان ، 1985: 28) .

ويعرف الحدث المنحرف على أنه "ضحية ظروف سيئة اجتماعية كانت أم ثقافية أم حضارية أم اقتصادية فالحدث مصنوع لا مولود والانحراف يصنعه البالغون" (رشوان ، 1995 : 83) .

التعريف النفسي للحدث المنحرف :

يعرف علماء النفس انحراف الأحداث على أنه " سلوك لا اجتماعي أو مضاد للمجتمع يقوم على عدم التوافق أو الصراع النفسي بين الفرد ونفسه وبين الفرد والجماعة ، بشرط أن يكون الصراع والسلوك اللااجتماعي سمة واتجاهاً نفسياً واجتماعياً يقوم عليه شخصية الحدث المنحرف وتستند إليه في التفاعل مع أغلب مواقف حياته وأحداثها، وإلا كان هذا السلوك سطحياً عارضاً يزول بزوال أسبابه الناشئة من عوامل أخرى متعددة اجتماعية واقتصادية ...الخ" (الديب ، 1997 : 256) .

كما يعرف الحدث المنحرف بأنه " ذلك الشخص الذي يرتكب فعلاً يخالف أنماط السلوك المتفق عليه للأسوياء في مثل سنه وفي البيئة نتيجة معاناته لصراع نفسي لاشعوري ثابت نسبياً يدفعه لاإرادياً لارتكاب هذا الفعل الشاذ كالسرقة أو العدوان أو الكذب أو الانطواء ... الخ" (رمضان : 1985 : 28) .

يلاحظ من التعريفات السابقة ما يلي :

- من الصعب وضع تعريف جامع مانع للحدث المنحرف يشمل جميع التخصصات ، حيث اختلفت الآراء في تعريف الحدث المنحرف لاختلاف وجهات نظر الباحثين والمتخصصين في هذا المجال ، وتباينت تفسيراتهم للسلوك المنحرف كلاً حسب تخصصه ، وحسب المقياس الذي يحدد السلوك الشاذ ، فبعضها تنظر إلى سلوك الحدث المنحرف من حيث الشكل فقط دون البحث عن الأسباب الكامنة وراء هذا السلوك غير السوي للوقوف عن الدوافع المحركة للانحراف لديه .
- تربط التعريفات الاجتماعية والنفسية سلوك الحدث المنحرف بالاضطرابات والأزمات النفسية التي يعاني منها من خلال تحليل شخصيته فتدفعه لا شعورياً إلى الانحراف ، ويعتبر هذا السلوك المنحرف مخالفاً للمعايير الاجتماعية المتعارف عليها ، وهو سلوك مرفوض من قبل أفراد المجتمع ، ويهدد أمن المجتمع واستقراره ، أما التعريفات

القانونية فترى أن السلوك المنحرف للحدث يتحدد طبقاً للقوانين النافذة ويعتبر جريمة جنائية مخالفاً لأحكام قانون العقوبات وقد يقع تحت المسئولية المخففة أو استبعاد مساءلته كلياً .

- لم تضع التعاريف الاجتماعية والنفسية مقياساً للسلوك الذي لا يتوافق مع معايير ونظم المجتمع ويتصف بأنه سلوك منحرف يصل إلى درجة الجرم الجنائي ويعاقب عليه القانون فهو أمر نسبي يختلف من مجتمع لآخر ومن زمن لآخر، وقد يكون من الأجدر الأخذ بالتعريف القانوني من الناحية العملية الذي يحدد أنماط السلوك المنحرف وفق قواعد وقوانين مكتوبة يمكن الرجوع إليها .

مظاهر انحراف الأحداث :

يتمثل النشاط الانحرافي للأحداث غالباً في الصور التالية : (عبد المنعم، 336 : 1996) :

1- **السرقة** : وتعد من الأنشطة الانحرافية التي يقوم بها الحدث لسهولة تنفيذها من جهة وإشباع لاحتياجاته من جهة أخرى ، وأبرز صورها ظاهرة النشل التي يقوم بها الحدث أو مجموعة أحداث يشرف عليهم شخص بالغ يستخدمهم لتنفيذ مخططاته في مجال النشل أو السرقة عموماً ، كما أن سرقة المعروضات من المحلات التجارية تمثل نشاطاً آخر للأحداث .

2- **التسول والدعارة** : ويلجأ عادة المنحرفون الذكور إلى التسول لانعدام وجود أسر تكفلهم أو معاناتها من التفكك أو الفاقة ، وغالباً يشيع بينهم إدمان المخدرات أو شرب الكحوليات ، في حين تلجأ المنحرفات الإناث إلى الدعارة بدلاً من التسول .

3- **التشرد** : يخرج الحدث للشارع عندما تزجه الظروف السيئة إليه وخاصة عندما يرافقه أصدقاء السوء ، مع رغبته في استكشاف العالم الخارجي المفعم بالغموض والإثارة وبالتالي فقد يقع في هاوية الانحراف والجريمة .

الظروف الأسرية المؤثرة على ظاهرة انحراف الأحداث :-

إذا اضطربت حياة الأسرة وعجزت عن إشباع احتياجات أبنائها فإنها تعرضهم إلى الحرمان والشعور بالنقص والدونية والنبذ فيؤثر في تكوينهم النفسي والاجتماعي

وتتميز الأسر التي ينحدر منها المجرمون الأحداث غالباً بظروف متعددة تجعل منها عاملاً من عوامل انحراف الأحداث منها :

1- التصدع الأسري :

يتولد عن هذا التصدع اضطراب نفسي واجتماعي للحدث نتيجة حرمانه من أبيه أو أمه ، لظروف عديدة كفقدان أحد الوالدين عن الحياة الأسرية بالموت أو الهجر أو الانفصال أو الطلاق أو الغياب المستمر عن البيت أو السجن فيدفع به إلى الانحراف .

فالبيوت المحطمة التي تحوي هذا النوع من التصدع كثيراً ما تهيئ إلى الانحراف فقد يصاب الحدث بالقلق عندما يتعرض إلى الحرمان من الجو الأسري المفعم بالحب والحنان وعواطف والديه نتيجة غياب أحدهما أو كليهما – لأي سبب من الأسباب – خاصة خلال فترة الطفولة المبكرة .

فغياب الأب عن الأسرة قد يفقد الطفل الذكر القدوة الحسنة والمثل الأعلى الذي يرغب أن يكون عليه مستقبلاً ، كما يفقد الطفلة الأنثى في رسم صورة رجل المستقبل خاصة إذا كان فقدانه في فترة يقتضي تواجده لكي يوازن بين الحزم وعطف الأم حيث يفضي إلى آثار سيئة على شخصية الطفل ، في حين لا تجد الأم الوقت الكافي للقيام بأعباء الرعاية والضبط الأسري وتدبير شئون المنزل بشكل جيد .

وتؤثر السيطرة والطغيان والسلطة الأبوية القديمة التي يتمتع بها الأب وتخضع فيها الزوجة والأبناء خضوعاً تاماً على الحدث حيث يشعر عادة داخل أسرته بأنه كائن منبوذ ولا يعيش عيشة آمنة قد يولد لديه الرغبة في الانتقام ، في حين غياب السلطة الأبوية كانشغال الأب في العمل أو امتناعه عن التدخل في شئون أبنائه أو رفع الكلفة بينه وبينهم بصورة مبالغ فيها مما يقضي على وجود سلطته في الأسرة أو تخلى عنها والتي كان يتمنى وجودها وتمسكه بها نتيجة ضعف مركزه الاجتماعي أو الاقتصادي أو الثقافي أو الصحي أو طغيان شخصية الأم القوية على شخصيته ، كلها أسباب قد تنمي في الحدث سخطه تجاه والده ، وقد تؤثر على نفسيته وتضطرب شخصيته فيتجه إلى خارج البيت وعادة ما يقع تحت تأثير رفاق السوء .

كما قد يساهم غياب الأم إلى حد كبير في اضطراب شخصية الحدث أو عرقلة نموه بشكل سليم ، فعدم استقرار عواطف وعلاقات الأم تجاه الحدث تولد لديه

الإحساس بالظلم والقسوة ، فابتعادها عن أطفالها خارج البيت لفترات طويلة خاصة في مراحل حياتهم الأولى ، بسبب العمل أو الزيارات العديدة أو ميلاد طفل جديد يستحوذ على اهتمامها أو إهمالها له لأنه جاء على غير رغبة أو فوق إخوة كثيرين أو ترك تربيته للمربية أو التغيير المستمر للمكان أو الأشخاص القائمين على رعايته ، كلها عوامل تؤدي إلى اضطراب في التكيف الطبيعي لديه وتعوق توافقه مع المجتمع وقد تقوده إلى السلوك الانحرافي .

وهناك الكثير من الوالدين اضطرتهما ظروف العمل إلى عدم تواجدهما في بيت واحد ، فيتغيب دورهما في تنشئة الحدث ، فيجد نفسه وحيداً لا يهتم بأمره أحد من والديه أو قد يضطران إلى وضعه في مدرسة داخلية أو ملجأ ، الأمر الذي يحرمه من حنان الأم ومن سلطة الأب مما يجعله يبحث لنفسه بنفسه عن الأمان والاطمئنان الذي يفتقده داخل أسرته فيتخذ موقف العداء للآخرين فلا يجد أمامه سوى الطريق المنحرف .

وقد يتعرض أحد الوالدين لمرض يتطلب علاجاً طويلاً ، وما يترتب عليه من إرهاق لميزانية الأسرة ويعرضها للأزمات والاستدانة نتيجة نفقات العلاج الباهظة ، كما أن مرض الأم الطويل يؤثر تأثيراً كبيراً على الجو العاطفي السائد في البيت ، باعتبارها أساس التدبير والعطف والحنان في الأسرة ، وحرمان الحدث منها قد يدفعه إلى البحث عن الإشباع العاطفي والوجداني خارج نطاق الأسرة وغالباً ما يتمثل في رفاق السوء .

ويشكل وفاة أحد الوالدين تهديداً لحياة الحدث خاصة عند زواج الأب أو الأم ووجوده مع زوجة أبيه أو زوج أمه أو عند الأقارب أو في أسرة بديلة ، حيث يترتب على زواجهما حرمانه من الرعاية الوالدية المشتركة ، بل وتضطرب حياته لمعايشته زوج الأم أو زوجة الأب وحرمانه مقومات الشخصية السوية والإشباع العاطفي وظهور النزعات العدوانية لديه في علاقاته الاجتماعية ، وقد يزداد الأمر سوءاً بالنسبة له حينما يكون لأحد الزوجين أو كليهما أبناء من زواج سابق انتهى بالطلاق أو الوفاة لا تربطهم بالحدث أي صلة ، فتقع الصراعات الداخلية بين أخوة غير أشقاء من زوجة الأب أو زوج الأم وتضطرب العلاقات حينما يفضلهم الوالدان عليه أو يفضلون عليه أبناء الزواج الجديد ، وقد يقوم الحدث بسلوك عدواني اتجاه زوجة الأب أو زوج الأم ويتمرد على السلطة التي يمارسها أحدهما عليه ، لأنه يراها سلطة غير شرعية فهي ليست سلطة

أبيه أو أمه فعلاً ، فوجود الحدث في هذا الوضع غير الطبيعي لها آثارها السلبية عليه لعدم إحساسه بالأمن والاطمئنان ودخوله في صراع وتنافس مع الآخرين ، وقد يفقده ثقته في نفسه وفي غيره فتضطرب عاطفته خاصة إذا تولى أمره غير والديه وقد تهيئه إلى الانحراف .

كما يتعرض الحدث إلى الحرمان والإهمال نتيجة طلاق والديه أو انفصالهما ، وما يترتب على ذلك من مشكلات أخلاقية نتيجة التغير المفاجئ في حياته بعد الطلاق أو الانفصال ، أو لاختلاف أسلوب التربية الذي يتبعه الأب أو الأم ويجد معارضة من الطرف الآخر ، أو حرمانه من استكمال تعليمه ، أو عدم ظهوره بالمظهر اللائق الذي اعتاد عليه في حياته السابقة في كنف والديه ، كما قد يصاحب الطلاق أو الانفصال أحياناً توترات انفعالية للحدث، حيث تتنازع بيتان وسلطتان مما يترتب عليه اختلاف في المعاملة وسوء استخدام السلطة الضابطة وفقدان الأمن والطمأنينة، مما يؤدي به إلى البحث عن أماكن أخرى غالباً ما تكون منحرفة تحويعلى أصدقاء السوء وتمهد له طريق الانحراف .

فالبيوت المحطمة تكون حجر عثرة دون إشباع الحدث لحاجاته الأساسية ، وتؤثر على تكيفه الانفعالي وتمنع من اكتسابه المهارات الاجتماعية اللازمة لنمو شخصيته وبذلك قد تصبح نفسيته متهيئة للانحراف . (أبوتوتة ، 1998: 179 - 180) (الجميلي ، 1998 :246- 250) (خلف ، 1986 : 276) (رشوان ، 1995 : 151) (زهران ، 1980 : 409) (عبد الخالق ، 1999 : 58) (عبد الستار ، ب ت : 156- 157) (عبد المنعم ، 1996 : 341)(غباري ، 1989 : 52) .

2- أساليب التنشئة الاجتماعية للأبناء :

يعتبر ضعف النظام في الأسرة نتيجة للضعف البدني أو الذهني أو الأدبي للوالدين، أو اختلافهما في شأن تربية أبنائها ورقابتهم ، وجهلهما باتباع القواعد السليمة للتنشئة الاجتماعية من أهم العوامل الأسرية التي تساهم إلى حد بعيد في زيادة احتمالات شيوع الانحراف والجريمة بما تمارسه من تأثير على سلوك الأبناء ، فعدم تعلم الحدث منذ البداية أسلوب الأخذ والعطاء اتجاه المحيطين حوله وإشباع احتياجاته فقط

دون النظر للآخرين وعدم معرفته بحقه وواجبه قد تجعل منه شخصية أنانية تؤثر في سلوكه ، وقد تدفع مغالاة الوالدين في العناية بالحدث وإسرافهما في التدليل ، أو عدم مبالاتهما وتجاهلهما لسلوكه إلى الشعور بعدم الثقة وحرمانه من مواجهة الأزمات والمشكلات التي ينبغي مواجهتها وأن بيئته تسبب له اختناقاً مما قد يسبب له أزمة نفسية قد تحوله إلى شخص منحرف ، هذا فضلاً عن استخدام أسلوب القسوة الشديدة والعنف والإيلام الجسمي الذي يمارسه الوالدان على الحدث من إيذاء بدني ونفسي قد يعيق نمو شخصيته أو سوء معاملته فيتولد لديه الشعور بالظلم والاضطهاد ويعرضه للانحراف ، كما أن التذبذب في المعاملة بين اللين والشدة في آن واحد ، كأن يتمادى في تدليله وإذا صدرت منه أي هفوة مهما كانت بسيطة يعاقب عليها أشد العقاب، أو يوافق على تصرفه بسلوك معين في بعض الأحيان ويرفض في أحيان أخرى فهذه المعاملة المتذبذبة لها آثارها السلبية على أخلاق الحدث وسلوكه وظهور سمات السلوك المنحرف لديه، وقد تؤدي أيضا إهانته أو ضربه أمام الآخرين إلى إيجاد عقد نفسية لديه وكبت مشاعره وانفعالاته وقد يدفعه ذلك إلى تصريف كبته من خلال الانغماس في الانحراف ، كما أن عدم اكتراث الوالدين بتهذيب سلوك الحدث خاصة بعدما يصبح قادراً على الاعتماد على نفسه فيتركونه دون توجيه أو رقابة ، فيجد نفسه على اتصال بأنماط خارج البيت عادة ما تكون منحرفة فيتلقى منها سلوك الانحراف . (أبو توتة ، 1998 : 23) (الجميلي ، 253 : 1998) (خلف ، : 1986-284) (رشوان ، 1995 : 83) (شفيق ، 1997 : 222) (عبد الخالق ، 1999 : 60) (غباري ، 1989 : 56) .

3- المستوى الخلقي السائد في الأسرة :

يلعب الانهيار الخلقي والقيمي داخل الأسرة دوراً مباشراً في تشكيل شخصية الحدث لإحساسه الخاطئ بظلم المجتمع وقسوة نظمه وضغطه على حريته الشخصية ، مما قد يدفعه إلى اقتراف كافة السلوك الانحرافي ، فالحدث الذي ينشأ في أسرة تنعدم فيها القيم الروحية والمثل العليا وتغيب فيها القدوة الحسنة وتختل فيها المعايير الاجتماعية مما يجعل الحياة داخل البيت مجردة من الأخلاق الفاضلة والسلوك السوي فيصبح الانحراف والجريمة أمراً عادياً بالنسبة إليه، فعندما يشب في أسرة بين أفرادها منحرفون يراهم

ويسمعهم ويعايشهم ويأخذ منهم طباعهم وسلوكهم فسيسلك نفس مسلكهم ويتعلم منهم السلوك الانحرافي .

وقد يكون أحد الوالدين أو كليهما مثالاً سيئاً للحدث ، كأن يكون الأب منحرفاً جنسياً أو مجرماً أو مدمناً على تعاطي المواد المسكرة أو المخدرة ، مما يؤدي به إلى تدهوره جسمياً واجتماعياً واقتصادياً فيفقد الأسرة والعمل والصحة والأصدقاء وكثيراً ما يشرك ابنه في تحضير جلسة التعاطي مما يشجعه على الاقتداء به ، فالأب المنحرف يمارس تأثيراً إجرامياً على الحدث ويتعلم منه السلوك الانحرافي من خلال التقليد والمحاكاة وتقمص شخصيته ، وقد تكون الأم مستهترة أو منحرفة أو ذات علاقات مشبوهة وتحترف الرذيلة ويتسم سلوكها بالمجون والاستهتار وينعكس سلباً على أبنائها وخاصة البنات وقد تدفعهن للانحراف دفعاً أو تشجعهن عليه أو لا تصدهن عن ارتياده ، فكل اضطراب في سلوك الوالدين أو انحراف في شخصيتهما ينعكس آثاره السلبية على شخصية الحدث وتؤثر في سلوكه وتدفعه للانحراف . (أبو توتة ، 1998: 181) (خلف ، 1986 :283) (رشوان ، 1995 : 151) (زهران ، 1980 : 406) (شفيق ، 1997 : 222) (عبد الخالق ، 1999 :61) (عبد المنعم ، 1996 :341) (غباري ، 1989 : 59) .

4- العلاقات السائدة داخل الأسرة وأثرها على الحدث :

إن المناخ الأسري المميز بالصراع الداخلي والتوتر المستمر والشجار الدائم بين الوالدين، أو إصابة أحدهما بمرض نفسي أو عقلي أو اضطراب انفعالي ، أو يكون أحدهما أو كلاهما قدوة سيئة للأبناء كالإدمان على الخمر أو المخدرات أو الاتجار فيهما ، أو يسلكا سلوكاً خادشاً للحياء مخالفاً للأخلاق والآداب العامة ، أو أن يكون أحدهما مجرماً ، هذا فضلاً عن استخدام الكلمات النابية بين أفراد الأسرة ويحدث ذلك كله أمام الطفل فيتشرب المواقف غير السوية ونماذج السلوك المنحرف من أسرته وبذلك يكون مهيأ للانحراف والجريمة .

وقد تنتاب الحياة الأسرية بعض المشكلات الهدامة التي تكدر صفوها ، فالحياة الزوجية المبنية على المصالح الذاتية ، أو التفاوت في المستوى الاجتماعي والثقافي

والفكري والاتجاهات والعقائد والقيم والمعايير التي يعتنقها كلا الزوجين ، أو عدم التوافق الجنسي ، أو الفارق الكبير في السن ، أو الإدمان على المسكرات أو المخدرات وما إلى ذلك ، كلها أمور قد تعرضها إلى كثرة الخلافات التي قد تدفع بالأب في بعض الأحيان للبحث عن جو هادئ خارج البيت والامتناع عن إشباع احتياجات أسرته هذا فضلاً عن مشاعر الحرمان وسوء التكيف النفسي والاجتماعي وفقدان الثقة التي يشعر بها الحدث اتجاه والديه ، فيضطر للهروب من البيت بإرادته أو يطرد منه، فيلجأ إلى أماكن خارجية يلتمس فيها ما يفتقده من إشباع حاجته إلى الحب والأمن النفسي ، والابتعاد عن جو البيت المضطرب ومراقبة الوالدين فيهرب إلى الشارع حيث يقابل رفقاء السوء ويقع تحت إغرائهم في الذهاب إلى أماكن مشبوهة ويتعلم منهم الانحراف وهذا يكون بداية انزلاقه نحو الانحراف والميل إلى الجريمة .

ويؤدى شيوع التوتر بين الوالدين الناتج عن الخلافات الدائمة إلى إخلالهما بمسئولياتهما من حيث الرعاية والتوجيه والتهذيب ويتلف علاقات القربى ويقلل الاحترام وتهدر الحقوق وتتكون النظرة الدونية إزاء أحدهما للآخر، مما يولد الصراع بينهما ويجعل الحدث ينضم إلى جانب أحدهما ويقف موقفاً معادياً للجانب الآخر وقد يستخدم أحدهما ضد الآخر ، وهذا بدوره يعوق نمو الشعور بالأمان والاستقرار لديه وينمي فيه المشاعر العدوانية والميل نحو العنف والسلوك الانحرافي .

وقد تؤدي كثرة المشاجرات بين الوالدين إلى سوء معاملة الأبناء ، فالابن الذي جاء على غير رغبة والديه أو الابن غير الشرعي أو الابن الشاذ الطبع والتكوين ، قد يفتقد إلى الرعاية والاهتمام من قبل والديه فيشعر بالإهمال والنبذ فيدفعه ذلك إلى الرغبة في الانتقام وإيذاء الآخرين .

ويؤثر تعدد الأبناء في الأسرة إلى حد تتجاوز فيه الطاقة العاطفية للوالدين أو أحدهما في نمو نفسية واجتماعية الحدث ، لعدم توزيع عاطفة الأمومة والأبوة على كل فرد من أفراد الأسرة ، مما يقلل حظهم من الحب والعطف والتربية والسلطة العائلية ولا ينال منها إلا قدراً ضئيلاً لا تشبع حاجته ، فالمحاباة بين أفراد الأسرة الواحدة وتفضيل البعض على الآخر ، أو سخرية أو اضطهاد أحد أفرادها ، أو التفرقة في المعاملة بين الأخوة ، أو تسلط الكبير على الصغير أو الذكور على الإناث ، والشقاق

بين الإخوة غير الأشقاء ، أمور قد تحدث اضطراباً في العلاقات بين الإخوة وتشيع روح الغيرة والعداوة بينهم وقد تظهر بعض الأنماط الانحرافية .

كما يؤثر مركز الحدث في الأسرة كونه الأول أو الأكبر أو الأصغر أو الوحيد في أسلوب رعايته وعلاقاته مع والديه وإخوته فيكون عرضة للقلق والخوف والأنانية وقد تهيئه للانحراف، فترتيبه الأول قد يجعله مجالاً للمحاولة والخطأ في أمور التربية لوالديه وقد يسرفان في تدليله وحمايته ويعاملانه معاملة خاصة مميزة مما ينعكس سلباً على سلوكه وتصرفاته ، أما كون الحدث الأصغر فقد ينال تدليلاً مفرطاً وقد يقع تحت تسلط إخوته الكبار فيشعر بالنقص واضطرابات النمو، أما كونه وحيد والديه فسينال عادة حباً واهتماماً زائداً من قبل والديه فيصبح متمركزاً حول ذاته ومعتمداً على الغير عاجزاً عن تحمل المسئولية، وقد تذب الغيرة في صدور الإخوة الذكور اتجاه البنت الوحيدة أو بين الإناث اتجاه الولد الوحيد على المستوى المادي والعاطفي . (أبو توتة ، 1998 : 182) (الجميلي ، 1998 :243- 245) (رشوان ، 1995 : 151) (زهران ، 1980 : 408- 409) (شفيق ، 1997 : 237) (عبد الخالق ، 1999 : 64- 67) (عبد المنعم ، 1996 : 341)(غباري ، 1989 : 59) .

5- ظروف الأسرة الاقتصادية السيئة :

قد تتطلب حياة العصر الاقتصادية من الوالدين البحث عن سبل العيش لمواجهة متطلباتها ، ويترتب عن ذلك انصرافهما عن رعاية أبنائهم وتنشئتهم وتركهم دون رقابة حيث يؤثر الفقر وانخفاض مستوى الأسرة الاقتصادي على نفسية الحدث لما يعانيه من حرمان مادي كبير الذي قد يولد لديه الشعور بالحقد والكراهية ومشاعر النقص والدونية ، وهذا بدوره يسهم في نمو السلوك المنحرف للتعويض عن هذا الحرمان من جهة وإشباع لحاجاته ورغبته في حياة أفضل من جهة أخرى وتتسع له نطاق الظروف المهيأة للانحراف .

وقد يكون التصدع الذي يصيب الأسرة ناجماً من ظروفها الاقتصادية السيئة، فالأسرة التي تعاني من قلة الدخل أو انقطاعه بسبب موت عائلها أو سجنه أو البطالة

أو الإفلاس، وقد يؤدي إلى الانفصال أو الطلاق بين الوالدين ، أو قد يدفع بالأم إلى اتباع سلوك الرذيلة لما تدره من أرباح وفيرة لها ولأسرتها .

كما أن الفقر له أثره على أحوال الحدث الجسمية والنفسية والتربوية والثقافية ، فمن الناحية الجسمية غالباً ما يكون الحدث هزيلاً مصاباً بأمراض عضوية وعقلية نتيجة سوء التغذية ، ومن الناحية النفسية فالفقر يولد لدى الحدث عدم الاطمئنان والقلق والخوف والانزعاج من المستقبل مما يسهم في خلق جو مناسب لنمو الاتجاهات العدوانية لديه ، ومن الناحية التربوية والثقافية فكثيراً ما يحول الفقر دون متابعة الحدث لدراسته وقد يخرجه والداه من المدرسة للبحث عن عمل في سن مبكرة مما يلحق به الأذى في جسمه ونفسيته ، وفي أحوال أخرى قد يلجأ الحدث بتحريض من والديه إلى التسول في الشوارع أو بيع بعض السلع نظير أجر زهيد أو الانغماس في الرذيلة مما قد يدفعه للانحراف ، وقد لا يجد الحدث فرصة عمل تستغرق وقته وتشبع حاجته فيقع فريسة الفراغ والحاجة فيجد في مجتمع الطريق وسيلة الحصول على المال لإشباع احتياجاته ، وقد يقع في أيدي تجار المخدرات وينضم معهم في عصابات إجرامية محترفة .

وقد يغري دخل الأسرة المرتفع إلى أكثر من إشباع لاحتياجات الحدث الأساسية والكمالية فيدفع الفائض منه إلى ارتياد أماكن اللهو وتناول المشروبات المخدرة والمسكرة وما ينجم عن ذلك من وقوعه في انحرافات أخلاقية .

كما قد يحول المستوى المعيشي للأسرة بينها وبين اختيار مسكن صحي يساعد على نمو أبنائها نمواً سليماً بدنياً وعقلياً وأدبياً واجتماعياً، حيث تدفعها الحاجة والفقر للسكن في أماكن ضيقة غير متوفر فيها الشروط الصحية وتقل فيها الراحة والاستقرار وتكثر فيها التوتر والصراع، فيضطر الأبناء إلى تركها واللجوء إلى الشارع بحثاً عن متنفس لهم ، وقد يدفعهم والدان إليه لكي يوفرا لهما الهدوء والسكينة، وعند وجود الأبناء في الشارع وفي غياب سيطرة الوالدين عليهم قد يكونون على اتصال بأوساط منحرفة تشجعهم على الانحراف .

كما أن الأسرة التي يعيش جميع أفرادها على اختلاف أعمارهم ذكوراً وإناثاً في مثل هذا المسكن المزدحم ، ولا يتاح لهم الاحتفاظ بمستوى مقبول من الضوابط الأخلاقية والقيم الاجتماعية التي يمكن أن تجنبها عوامل الانحراف، بل من شأنها أن يترتب عليه

اضطرابات في نموهم النفسي والفسيولوجي تؤثر على سلوكهم العام ، فضيق البيت وازدحامه قد يؤدي إلى الاتصال بين أفراده من الجنسين في صورة غير مشروعة ، أو الاتصال الشاذ بين أفراد من جنس واحد قد يصل الأمر بهم إلى جرائم اللا أخلاقية ، كما قد يضم المسكن المزدحم أفراداً مختلفي الطباع والعادات الاجتماعية فتكثر بينهم الصراعات والمنازعات الداخلية وقد يكون ضمنهم شخص سبق له أن أجرم ، أو يتناول الخمر أو المخدرات ، أو يفخر بمخالفته للقيم العليا والقانون فيكون قدوة لبعض أفراد الأسرة وخاصة الأحداث الذين يؤدي إعجابهم به إلى تقليده في اقتراف الانحراف والجريمة .

وقد يؤدي المسكن المزدحم إلى عدم تمكين الحدث من أداء واجباته المدرسية على نحو مرضي ، مما يؤدي به إلى الإهمال والفشل الدراسي ، كما قد يدفعه إلى البحث عن مكان يقضي فيه أوقات فراغه فيلجأ إلى الشارع حيث يكون الاتصال برفقاء السوء .

هذا فضلاً عن مكان الحي الذي يقع به مسكن الحدث وتأثيره في العلاقات الإنسانية ومدى احتوائه على الحدائق والمتنزهات وساحات اللعب التي تلعب دوراً في امتصاص الطاقات الزائدة خاصة لدى الناشئين أو حرمان هذا الحي من مثل هذه الأماكن ، وقد يكون الحي مصدراً لتكوين الاتجاهات الخاطئة عندما يخرج عن القيم المتعارف عليها في المجتمع الكبير ، ويفشل في توجيه قيم أفراده وضبط سلوكهم وبذلك قد تقود الحدث للانحراف ويقول سذرلاند في هذا الصدد : إن الأطفال بطبيعتهم يدفعهم الفضول إلى التماس وسائل ترفيهية جديدة في كل الأوقات ، وهم لذلك يندفعون لتجربة كل ما يحيط بهم من وسائل اللهو التجارية الرخيصة في داخل الحي الذي يعيشون فيه ، وهنا لا يهتم المستفيد من هذه التجارة الرخيصة الحدث الصغير ومستقبله وسلوكه ، بقدر ما يهمه من ربح عاجل يجنيه من وراء عمله ، ولهذا فقد ينغمس أطفال هذه الأحياء في أنماط سلوكية ضارة ، الأمر الذي يقودهم إلى الجريمة .(أبو توتة ، 1998 : 185– 188) (خلف ، 1986 : 284– 286) (جعفر ، 1999 :71) (عبد الخالق ، 1999 : 67 – 70) (عبد الستار ، ب ت : 158– 159) (غباري ، 1989 : 69) .

مسئولية الأسرة في الحد من انحراف الأحداث :-

تعتبر الأسرة الوسط الأول في تربية الأبناء إذ تقع عليها وظيفة التنشئة الاجتماعية لذا ينبغي أن تتركز فيها كافة الإجراءات والتدابير الوقائية من أجل وقايتهم من الانحراف خارج الأطر الاجتماعية والأخلاقية والأدبية للمجتمع وتربيتهم التربية السوية ، وإعدادهم لتحمل المسئوليات في المراحل المقبلة من حياتهم ، وفي ضوء مواجهة هذه الظاهرة يمكن الإشارة إلى النقاط التالية التي قد تساهم في الحد منها :

1- توجيه الأسرة بالأسس التربوية الواجب اتباعها في معاملة أبنائها ، بحيث لا يركز الوالدان على بعض الأبناء دون غيرهم حتى لا تثير غيرة إخوتهم من جهة ويجعلهم عرضة لسوء التكيف الشخصي والاجتماعي من جهة أخرى .

2- حث الأسرة على توفير الظروف المناسبة لأبنائها على مواصلة تعليمهم في مراحل التعليم المختلفة ومراجعة دروسهم في البيت وتشجيعهم على الاطلاع المستمر لكي يرتفع مستوى تحصيلهم وإزالة ما قد يؤثر على نجاحهم وتفوقهم .

3- أن تعمل الأسرة على توفير مختلف الوسائل التثقيفية بقدر ما تسمح به إمكانياتها وتشجيع الأبناء على استخدام هذه الوسائل بما ينمي لديهم حب الاستطلاع والبحث عن المعرفة وتوعيتهم بمخاطر الانحراف والجريمة .

4- العمل على رفع المستوى التعليمي للوالدين وخاصة الأمهات ، من خلال فتح دورات محو الأمية والتعليم عن بعد وتوظيف القنوات الفضائية لذلك .

5- تحقيق الإشباع العاطفي للحدث لأنه في حاجة ماسة للشعور بالأمن والطمأنينة والرعاية في كنف أسرة مستقرة .

6- تبصير الوالدين بوجوب الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية ودعم القيم الدينية والمعايير الأخلاقية في نفوس الأحداث باعتبارها أهم أساليب وقايتهم من الانحراف والميل للجريمة .

7- استثمار أوقات فراغ الأبناء داخل البيت وخارجه ومساعدتهم على إقامة برامج تعود عليهم بالنفع وتجنبهم الانغماس في الرذيلة .

8- يجب على الأسرة عدم استخدام أساليب التوبيخ والسخرية لأبنائها حتى لا يشعروا بضعف الثقة بالنفس بل عليها استخدام التشجيع والمدح لكي يستردوا ثقتهم

بأنفسهم وبقدرتهم على تحمل المسئولية ومنحهم فرصة التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم .

9- مراقبة الأسرة علاقات أبنائها بأصدقائهم والعمل على إبعادهم عن رفاق السوء ومعرفة أنشطتهم والأماكن التي تعودوا ارتيادها .

10- اهتمام الأسرة بتنشئة الأبناء وحمايتهم من صور الإهمال الأسري وتجنب استخدام الأساليب القسرية في التعامل معهم .

11- إلمام الأسرة بمراحل نمو الطفل وطبيعة كل مرحلة وكيفية التعامل مع الأبناء خلال هذه المراحل.

12- إخفاء الوالدين خلافاتهم ومشاكلهم عن أبنائهم وألا يكونوا متنفساً لأحد والديهم أو كليهما يظهر فيه كرهه للطرف الآخر وعدم رضاه .

13- اعتراف الوالدين بشخصية أبنائهم وعدم إحراجهم أمام الآخرين وإشعارهم بأنهم أشخاص مقبولين ومتميزين وإبراز نواحي التقدم في العمل والشخصية دون التركيز على جوانب الفشل .

14- الاهتمام بالأسرة والعمل على تقليل الفرص التي تخلق الصراع والتفكك الأسري وتوفير كافة الخدمات والمساعدات التي تحتاجها .

15- حسن اختيار شريك الحياة من أجل تكوين أسرة على أسس سليمة يسودها الألفة والمحبة واحترام حقوق ودور الطرف الآخر .

16- عدم تغيب الوالدين عن البيت لفترات طويلة وقضاء وقت كافٍ مع أبنائهم وإقامة علاقات ودية معهم قوامها الحوار الصريح .

17- يجب على الوالدين توفير فرص النمو السوي لأبنائهم ومنع النزعات الانحرافية بينهم من خلال توفير جو ملائم في البيت ينعمون فيه بالأمن والاستقرار والإشباع العاطفي .

18- توعية الوالدين إلى أهمية تنظيم الأسرة وفعالية الدور الذي تقوم به الأسرة في التنشئة الاجتماعية السليمة لأبنائها.

19- ينبغي على الوالدين اكتشاف استعداد أبنائهما للانحراف اكتشافاً مبكراً للقضاء عليه قبل أن يستفحل أمره .

إزاء ما تقدم فظاهرة انحراف الأحداث ظاهرة مكتسبة وأن ظروفاً خاصة هي التي كانت وراء هذا الانحراف ، والاهتمام بفئة الأحداث باعتبارها فئة عمرية مهمة قد تلعب دوراً في تنمية وتطور مجتمعاتها فيما لو منحت الرعاية والتوجيه والعناية الذي قد ينقذها من الانغماس في الرذيلة والانحراف ، وللوقاية من مخاطرها وجب تضافر جهود الكثير من مؤسسات وهيئات المجتمع للحد من استفحالها بدءاً من الأسرة التي تلقى معظم مسئولية انحراف الأحداث عليها .

فالبيئة الأسرية الجيدة هي المناخ الذي ينمو في إطاره الطفل بما تهيئه له من فرص تربوية وثقافية ، وإشباع لحاجاته الأساسية من مأكل وملبس والعناية بالصحة والعلاج من الأمراض ، كما تعمل على تهيئة البيئة المناسبة لاستثارة الجوانب العقلية لديه وتنمية مداركه وثقافته بما توفره له من وسائل ترفيهية في البيت وتأكيدها على أهمية التحصيل الدراسي وتشجعه على مواصلة دراسته ، فهذه العوامل يجب أن تتوفر داخل الأسرة وفقدانها قد يساهم في خلق الظروف الملائمة نحو الميل للانحراف والجريمة فالمحيط الأسري له دور بارز في تكوين شخصية الفرد والتأثير على اتجاهاته المستقبلية وعامل مؤثر في سلوكه، ويمكن أن يساهم في دفعه إلى السلوك الإجرامي خاصةً إذا كان الوالدان ذوي تعليم وثقافة متواضعة ودخل مادي غير كاف حتى لسد الرمق، ولا يتوفر في هذا المحيط أساليب التنشئة الاجتماعية السليمة، ويعاني من التصدع والانهيار ومع ذلك لا ينبغي الاعتقاد بأن هذه الظروف تؤدي إلى الانحراف والإجرام دائماً ، فالأسرة المتصدعة بل حتى الأسرة المتماسكة بالمقابل قد تفرز للمجتمع أشخاصاً منحرفين أو مجرمين وأشخاصاً أسوياء ، فالتصدع الأسري يقوي احتمال إقدام الفرد على الانحراف ولكنه ليس العامل الوحيد الذي يقود إليه ، فهناك الكثير من العوامل الداخلية والخارجية المتعددة التي تحيط بشخصية الفرد وقد تدفعه للانزلاق نحو الانحراف والميل للجريمة .

إن إصلاح الأحداث المنحرفين غالبا ما يكون بإصلاح الأسرة وتوفير الفرص التربوية والاقتصادية والثقافية المناسبة لها ، ومن أجل ذلك كان التأكيد على الدور الوظيفي الهام للأسرة في أداء رسالتها على أكمل وجه في تربية الأبناء ليكونوا عناصر بناءة ومؤهلةً للمشاركة في بناء المجتمع وفي هذا وقاية للمجتمع من الانحراف والجريمة .

المراجـــــع :

1- ابن منظور: لسان العرب المحيط ، تقديم : العلامة عبد الله العلايلي ، دار الجيل – دار لسان العرب ، المجلد الأول ، بيروت ، 1988 .

2- الفيروز آبادى : القاموس المحيط ، المؤسسة العربية للنشر ، الجزء الثالث ، ط2 ، بيروت.

3- المعجم الكبير ، مجمع اللغة العربية ، الجزء الخامس ، 2000 .

4- السيد رمضان : الجريمة والانحراف من المنظور الاجتماعي ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، 1985.

5- جلال الدين عبد الخالق : الجريمة والانحراف (الحدود والمعالجة) ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، 1999 .

6- حامد زهران : التوجيه والإرشاد النفسي ، ط 2 ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1980.

7- حسين رشوان : الجريمة ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، 1995.

8- خيري الجميلي : السلوك الانحرافي في إطار التخلف والتقدم ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، 1998.

9- سليمان عبد المنعم : أصول علم الإجرام والجزاء ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ، 1996.

10- عبد الرحمن أبو توتة : الأحداث الجانحون ، دار الميزان ، طرابلس ، 1998 .

11- علي جعفر : علم الإجرام والعقاب ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1992 .

12- فوزية عبد الستار : مبادئ علم الإجرام وعلم العقاب ، دار النهضة العربية، بيروت ، ب ت .

13- فتوح الشاذلي : علم الإجرام وعلم العقاب ، الجزء الأول ، دار الهدى للمطبوعات ، الإسكندرية ، 1995 .

14- محمد الديب : الخدمة الاجتماعية في محيط نزلاء السجون والأحداث ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1997 .

15- محمد الرازقي : محاضرات في القانون الجنائي (القسم العام) ، ط3 ، دار أويا للنشر، طرابلس، 2002 .

16- محمد خلف : مبادئ علم الإجرام ، ط 4 ، دار الجماهيرية للنشر ، مصراتة ، 1986.

17- محمد شفيق: التشريعات الاجتماعية (العمالية / الأسرية) ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ، 1997 .

18- محمد غباري : مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث، ط 2 ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، 1989 .